دروس الحديث الشريف **الشيخ الطبيب محمد خير الشعال**

سلسلة الأحاديث القدسية

((الإنابة إلى الله تعالى))

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

درسنا اليوم عن الإنابة والرجوع إلى الله تعالى، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يستغفر الله في اليوم مئة مرة أو أكثر.

يقول الإمام الغزالي: **(صل المغفرة الستر والتغطية)**

ومن هنا سميت خوذة المقاتل والبزة التي يلبسها مِغفر، لأنها تستر جسد المقاتل.

يقول الإمام الغزالي: وستر الله تعالى ثلاثة أنواع: (انظروا كيف رب العالمين يسترنا جميعًا):

- ✓ **ستر على العبد، فجعل قبائح بدنه في باطنه وغطَّاها بجمال ظاهره.**

أنت في المركز هيكل عظمي، ثم عضلات ثم جلد، تخيلوا أن الأمر عكس ذلك! يعني أحيانا عندما يريدون ترويع إنساناً في بعض الأفلام، يضعون هيكل عظمي لتخويفه، فالله تعالى سترك وخبّأ هذا الهيكل العظمي، وستره بعضلات، ثم ستره بجلد. فكم بين باطن العبد وظاهره في النظافة والقذارة، الشيء القذر مخبأ فيه، فلو كان ظاهراً لما استطاع أن يجالس أحداً أبداً، وكم بين باطن العبد وظاهره في القبح والجمال، فانظر ما الذي أظهره وما الذي ستره !.

- ✓ **أنه جعل خواطرك المذمومة وإراداتك القبيحة في قلبك حتى لا يطّلع أحد على سرك .**

أحيانا يمرّ في ذهنك وساوس شريرة (والعياذ بالله) أنت تتضايق منها، فكيف لو جعل الله سبحانه وتعالى هذه الخواطر تُكتب على جبهتك؟! شيء فظيع، يصبح لا يسلّم أحد على الآخر، ولا يتكلّم أحد مع الآخر.

أحد الصحابة قال: يا رسول الله إني أحدّث نفسي حديثاً لو أظهرته عليك لكفرت. (يمرّ خواطر ووساوس وأفكار في داخلي (والعياذ بالله) لو قلتها لك لخرجت من الدّين)، وكلنا يمرّ علينا مثل هذه الأمور، لكن الله غفّار وستّار، فلم يظهرها لأحد.

قال الإمام الغزالي: ولو انكشف للخلق ما يجول في بالك، في مجال وسواسك، وما ينطوي عليه ضميرك من الغش والخيانة، وسوء الظن بالناس، لمقَتَك الناس، بل لسعوا في تلف روحك وأهلكوك، فانظر كيف ستر عن غيرك أسرارك وعوراتك وهذا ثاني ستر.

- ✓ **مغفرة الله تعالى لذنوب العبد التي كان يستحق الافتضاح بها على ملأ الخلق.**

وقد وعد أن يبدل سيئات العبد حسنات، ليستر مقابح ذنوبه بثواب حسناته.قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان:70] غداً في يوم القيامة، مع أنك قمت بفعل الكثير من السيئات، لكنك إذا أقبلت على الله إقبالا صحيحا، بدّل الله لك هذه السيئات إلى حسنات، ويظهر عن الناس خيرك ويستر عنهم شرّك .

كلنا فعلنا أشياء ليست جميلة أبدا، لكن الله سترها، ولم يعلم بذلك أحد. الآن تفعل شيئاً جميلاً، بعد يومين يسلّم عليك صديق لك يقول لك: جزاك الله خيراً أنت فعلت كذا وكذا، ليتني مثلك، بارك الله لك هذا العمل.

أرأيت كيف يبلّغ الله تعالى العباد، أعمالك الحسنة! لكن أعمالك السيئة يخبئها عنهم.

كان سيدنا علي يدعو فيقول:**كم من ثناء جميل لست أهلاً له، بين العباد نشرته**، العباد لا يعلمون عنك إلا الأشياء الجيدة ،وهذا ببركة مغفرة الله سبحانه وتعالى لك.

كان رجل من أهل الشام ذو بأس، وكان يَفِد إلى عمر بن الخطاب، ففقده عمر فقال :ما فعل فلان ؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين تتابع في هذا الشراب (والعياذ بالله) صار عنده أصدقاء سوء يذهب معهم إلى أماكن لا ترضي الله سبحانه وتعالى ،ومن جملة الأمور أنه صار يشرب المسكرات، (تتابع في هذا الشراب).

فدعا عمر كاتبه فقال له: اكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب ذي الطَول -يعني ذي الإنعام- لا إله إلا هو إليه المصير، ثم قال لأصحابه: **ادعو الله لأخيكم ، أن يتوب الله عليه**.

لذلك إذا رأيتم إنساناً يعصي الله سبحانه وتعالى، فلا تشمتوا به، ولا تؤذوه بكلامكم، لا تؤذوه بنظراتكم، احمد الله أنه سلّمك، وأنه عافاك، ولم يجعلك مبتلى مثله، سيدنا عمر قال: **ادعو الله لأخيكم أن يقبل ويتوب الله عليه**.

فلما بلغ الرجل كتاب عمر، جعل يقرأه ويردده ويقول: غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب، قد حذّرني عقوبته، ووعدني أن يغفر لي. فلم يزل يرددها على نفسه، ثم بكى، ثم نزع – أي ترك الفاحشة التي كان يصنعها- فأحسن النزع. فلما بلغ عمر خبره قال: **هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاً لكم، زلَّ زلة فسددوه ووثقوه، وادعو الله له أن يتوب، ولا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم.**

نحن كلنا نذنب، مهما كنت أسأت قَبل الآن، رب العالمين ترك لك مجالاً للعودة، وأعطاك أمورا تنشطك، فالناس كلها مقبلة إلى المساجد، والطاعات متوفرة في رمضان، والمعاصي نادرة جدا في رمضان، من أجل أنك مهما كنت بعيداً فارجع.

رب العالمين يمد يده إليك لتعود إليه، ولو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرته لغفر لك.

شأن العبد أن يذنب وشأن الرب أن يغفر.

كان بعض الصالحين يقول: يا عواداً بالمغفرة – أنت يا رب كل مرة تغفر لنا- يا عواداً بالمغفرة جاءك العواد بالذنوب – وأنا شأني كل مرة أن أذنب- ما من مشكلة، لكن عُد مباشرة. المؤمن واهن راقع، فطوبى لمن مات على رقعه.

إياك أن تقول: سأبقى هكذا طوال عمري، إياك أن تقول: كيف سيغفر لي، أنا فعلت أشياء كبيرة جدا ! مهما كبرت ذنوبك، إذا أقبلت عليه فإن الله سيُقبل عليك .

سيدنا عمر رضي الله عنه يقول: **(من لم يعرف الجاهلية لم يعرف الإسلام، وخيركم في الجاهلية خيركم في الإسلام)**، يعني مهما كان الإنسان بعيداً، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو يقول: **اللهم أعز الإسلام بأحب العمرين إليك**: عمر بن الخطاب، وعمرو بن هشام، عمرو بن هشام هو: أبو جهل.

النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يا رب لعل أبو جهل يأتي لعندنا، وأبو جهل فظيع في عدائه للنبي صلى الله عليه وسلم، عمر بن الخطاب فظيع في إساءته للصحابة. النبي يدعو لهما ويتوقع هداية واحد منهما، فأصابت دعوته عمر بن الخطاب.

الآن لا أظن أن بيننا واحداً مثل أبي جهل، ولا يوجد رجل مثل عمر عندما كان في الجاهلية، يعني نحن نذنب لكن ذنوبنا ليست كبيرة جداً، فتعالوا لنستحيي من الله تعالى، وأقبِل على الله بشكل صحيح، ولعلك في لحظة إقبال على الله ، ولحظة صدق مع الله، الله تعالى يفتح لك طريق الإقبال عليه فتفوز!.

الفضيل بن عياض: كان رئيس عصابة، يُكثر القتل، يشرب الخمور، ويسرق الأموال وفي لحظة من اللحظات (يبدو له أعمال صالحة معينة) أقبَل على الله، والله سبحانه وتعالى فتح له الباب، فصار الفضيل من كبار أولياء الأمة.

والآن نحن في رمضان لذلك الذي لم ينتبه بعد فليأت وننتبه.

- ✓ وإذا لم يغفر الله تعالى لك في رمضان فمتى؟!.
- ✓ إذا لم تقبل على الله تعالى في رمضان فمتى؟!.
- ✓ إذا بقيت مُصرّاً على صفاتك التي قبل رمضان فمتى ستغير هذه الصفات؟!.
- ✓ ولا ندري هل نعيش إلى رمضان القادم أم لا؟ فتعالوا نقبل على الله،

عن َنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ((**يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**)),[الترمذي].

نسأل الله تعالى أن يغفر ذنوبنا،وأن يرضى علينا، وان يجعلنا من أهل وداده.

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا إنك عفو تحب العفو فاعف عنا، نسألك العفو والعافية ودوام العافية والشكر على العافية، اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا، يا من سترتنا في الأولى استرنا في الآخرة، يا من سترتنا فوق الأرض، استرنا تحت الأرض، واسترنا يوم العرض، واسترنا إذا وزنت الموازين، واسترنا إذا فتحت الدواوين، واسترنا إذا وقفنا على رؤوس الأشهاد، واسترنا إذا وقفنا بين يديك يا أرحم الراحمين.

اللهم وإذا وقفنا بين يديك فاغفر لنا وسامحنا وتجاوز عنا واحشرنا مع عبادك الصالحين وأدخلنا الجنة مع عبادك الصالحين، يا رب حاجاتنا منك لا تنقضي، نريد منك كل شيء فيه سعادتنا، سعادتنا في يدك، يا رب أسعدنا في الدنيا والآخرة، أسعدنا في الدنيا والآخرة أسعدنا في الدنيا والآخرة مع أهلينا وأولادنا، مع أهلينا وذرياتنا مع أساتذتنا وتلامذتنا مع من أحبنا ومن أحببناه فيك، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.